**حرب الكلمات**

**استثمار العبرنة في تهويد فلسطين نموذجًا**

**أ. د. إحسان الديك**

**جامعة النجاح الوطنية / فلسطين**

**تقديم:**

بات من البدهي القول إن اللغة ليست وسيلة للتخاطب والتواصل وحسب، بل لها أثرها في تشكيل رؤية الإنسان لذاته ولغيره، ولها دلالتها على وعيه السياسي والاجتماعي والتفاني وهي فوق هذا مكون رئيس من مكونات الأمة وتشكيل هويتها.

ويتفاوت اهتمام الجماعات بلغاتها باختلاف الأوضاع والظروف، فتتجاوز عند الشعوب التي تخوض صراعاً ضد الاستعمار والاحتلال والاضطهاد أهميتها باعتبارها وسيلة اتصال ووعاء للفكر والثقافة والأدب، ومعبرة عن الآمال والآلام، لتغدو جزءاً لا يتجزأ من هذا الصراع، وسلاحاً من أسلحته، ويغدو التمسك بها تمسكاً بالأرض، وتصير كالحدود تفصل بين البشر، وتحدد معنى الانتماء، بل نصبح عنواناً للهوية والانتماء الوطني.

وفي فلسطين تتعرض اللغة العربية – كما تعرضت في الجزائر من قبل – إلى تطهير لغوي، لا يقل قسوة عن التطهير الديموغرافي الذي يمارس على الأرض والإنسان سواء بسواء، فلقد أقحم العدو منذ بداية المشروع الصهيوني اللغة العبرية في قلب هذا الصراع، إذ ربطت الحركة الصهيونية هويتها باللغة العبرية، ورأت أن بداية الدولة العبرية تبدأ من الوحدة اللغوية، لخلق هوية جديدة تختلف عن هويات الشتات.

لم تعد اللغة العبرية كما كانت من قبل منسية في سبات عميق لأكثر من ألفي عام، لا تستخدم في الحديث ولا الكتابة إلا بما يتعلق بالصلاة في الكنس وبين رجال الدين([[1]](#footnote-1))، "ولم تعد لغة دين وشعائر وطقوس فحسب، بل أصبحت أداة لخلق الوحدة داخل المجتمع الصهيوني، وأداة لتعميق الانتماء والولاء للأرض"([[2]](#footnote-2)). إنها اللغة القومية والسلاح الفاعل للبعث والوجود.

هذه الأيديولوجيا النابعة من كون إسرائيل دولة يهودية صهيونية، كانت المحرك الأساس، والدافع الأهم للسياسة اللغوية التي اتبعتها الدولة بعد نشوئها إذ "كانت اللغات الثلاث الرسمية المعترف بها في فلسطين مرتبة على النحو التالي: الإنجليزية والعربية والعبرية، كانت العربية الأكثر انتشاراً، واستعملت اللغة الإنجليزية في إطار الدوائر الحكومية، والعبرية داخل المجتمع اليهودي فقط، وبعد إنشاء إسرائيل سعى اليهود إلى تغيير السيادة والممارسة اللغوية، وكانت الخطوة الأولى شطب اللغة الانجليزية من قائمة اللغات الرسمية، وأعطى القانون الإسرائيلي أفضلية للعبرية على العربية في جميع المجالات الحياتية"([[3]](#footnote-3)).

**الحركة الصهيونية والعبرية:**

لم تكن ظاهرة العبرنة حديثة العهد، ولم تنشأ مع ولادة الدولة العبرية، وإنما بدأت مع إرهاصات نشوء الحركة الصهيونية التي بنت مشروعها على ركيزتين اثنين هما: هجرة اليهود إلى فلسطين، وإحياء اللغة العبرية؛ لتكون لغة التواصل بينهم على اختلاف مللهم، ولتشكل العمود الفقري لهويتهم وتجمع بين ديانتهم وقوميتهم.

يعتبر البعض ظاهرة إحياء العبرية على يد الحركة الصهيونية، ظاهرة لغوية فريدة من نوعها في التاريخ البشري، وهي أكبر إنجاز للشعب اليهودي في العصر الحديث، لأنها لا تنطوي فقط على جانب الإحياء اللغوية وإنما توحي "إلى دلالات رمزية تتركز في المحاور الثلاثة الآتية:

**الأول**: لغة ميتة ثم إحياء رفاتها وترمز إلى إحياء الشعب اليهودي في إقامة دولة إسرائيل.

**الثاني**: لغة مقدسة تحولت إلى لغة علمانية، تشير إلى تقريب اليهودي من الثقافة الغربية وتنافسها مع هذه الثقافة مستقبلاً.

**الثالث**: لغة مكتوبة، أصبحت لغة مكتوبة ومحكية في الحياة اليومية، وبهذا قضت على اللغات اليهودية كاليديش وغيرها، وعملت على توحيد الطوائف اليهودية تحت سقف قومي واحد"([[4]](#footnote-4)).

جعلت الحركة الصهيونية إحياء العبرية عقيدة قومية، ومبدأ لا يمكن التنازل عنه، وأساً من أسس تهويد فلسطين عبر إقحام الرواية التورائية لإسكات التاريخ الفلسطيني، وإجلال رؤية أسطورية لم تؤكد التنقيبات الأثرية صحتها، باعتراف الكثير من علماء الآثار اليهود أنفسهم([[5]](#footnote-5)).

واعتمدت هذه الحركة اعتماداً كبيراً في التهويد على "صندوق استكشاف فلسطين" الذي له الفضل في التفكير في تهويد فلسطين، حين مسح البلاد من سنة 1871م – إلى سنة 1877م، وجمع أسماء المدن والقرى والخرائب، وأعدّ قائمة تحتوي على عشرة آلاف اسم، حيث عيّن الكولونيل كوندر على الخرائط التي صممها أسماء المواقع التي ورد ذكرها في العهد القديم، ورسم حدود أسباط بني إسرائيل الاثني عشر، واقتفى آثار الجيوش الغازية والهجرة القديمة([[6]](#footnote-6))، يفخر بيسانت السكرتير الفعلي لهذا الصندوق بقوله: "كنا نقوم بثورة كاملة في فهم التوراة ودراستها، كنا نحيي العظام وهي رميم ... لقد أعدنا البلاد (فلسطين) إلى العالم بالخارطة وبالأسماء والأماكن المذكورة في التوراة"([[7]](#footnote-7)).

كان رافعة التهويد عند الحركة الصهيونية اغتصاب اسم البلاد أولاً، والربط بينه وبين اليهود، وإثبات وحدانية امتلاكهم له، فادعوا أن اسم هذه الأرض منذ آلاف السنين (ايرتس يسرائيل)، أي الأرض اليهودية الموعودة، فقال هيرتسل: إن أبسط تعريف للصهيونية هو استبدال اسم فلسطين بالدولة اليهودية، وأكد مناجم بيجن على هذا المعنى فيما بعد بقوله: "إن اليهود لو تحدثوا عن فلسطين بدلاً من (ايرتس يسرائيل)، فإنهم يفقدون كل حق لهم في الأرض لأنهم بذلك يعترفون ضمناً بأن هناك وجوداً فلسطينياً، وبالتالي فإن عبارة أرض إسرائيل تدل على عدم الاعتراف بأي شعب آخر على هذه الأرض"([[8]](#footnote-8)).

أولت الحركة الصهيونية اللغة العبرية الرعاية والاهتمام، ووازنت بين بعثها وإنشاء دولة إسرائيل، وكانت من أبرز قضايا مؤتمرها الأول الذي عُقد بمدينة بازل بسويسرا سنة 1897م بعث اليهودية في يهود أوروبا، وتعليم اللغة العبرية لليهود، ورأت أن حركة الانبعاث تبدأ بإحياء اللغة، ووظفت من أجل تحقيق هذه الأهداف كل الطاقات والسبل، فدعت إلى تسميته الأفراد بأسماء تاريخية تنتمي إلى جذور اليهودية وثقافتها العبرية، "واتبعت سياسة تبديل أسماء المهاجرين الجدد بأسماء لشخصيات صهيونية وقادة عسكريين وشعراء قوميين ومؤلفين وربانيين مشهورين"([[9]](#footnote-9)). وسلطت الأضواء على شخصيات رأت فيهم نماذج عليا، ورموزاً للتضحية وخدمة الوطن، فمجدتهم وأسبغت عليهم ألقاباً وصفات مثالية، ليكونوا قدوة لمن يأتي بعدهم، فبدا هيرتسل ملكاً أسطورياً، وبياليك شاعراً نبياً، وترومبلدور بطلاُ أكتع، ويهود ابن إليعيزر محيي اللغة العبرية"([[10]](#footnote-10)).

كما سعت هذه الحركة إلى إثارة المشاعر الوجدانية بالتركيز على مصطلح "عبري" فردّدت شعارات وظفت فيها هذا المصطلح، لغرسه في أذهان المهاجرين مثل: "العمل العبري"، و"زراعة الأرض العبرية"، و"اعمل في الأرض العبرية"، و"تحدث العبرية"، و"تعلم العبرية بالعبرية"([[11]](#footnote-11)).

ويعتبر إليعازر بن يهوذا (1858 – 1922) من الشخصيات الريادية التي ترجمت أفكار الحركة الصهيونية على أرض الواقع، ورفعت لواء إحياء اللغة العبرية، ودفعت به إلى الأمام، فهو أول من استخدم مصطلح "القومية" في العبرية، وأول من تبلورت له فكرة "القومية اللغوية"، دعا اليهود للهجرة إلى فلسطين، والاستيطان فيها لإنقاذ العبرية من الضياع، والمحافظة على القيم الثقافية اليهودية المشتتة، عمل بتفان وإخلاص طيلة أربعة قرون على تحويل العبرية من لغة مكتوبة إلى لغة محكية، حتى أطلق عليه، "محيي اللغة العبرية"([[12]](#footnote-12)).

كما ساهمت المؤسسات والتنظيمات والجمعيات اليهودية في دعم اللغة العبرية ونشرها، واستخدامها وسيلة لتوثيق العلاقة بين اليهودي وثقافته، منها جمعية "سقاه بروراه" (اللغة الواضحة) التي ضمت بين صفوفها يهوداً شرقيين وغربيين، سعوا إلى بلورة لغة عبرية موحدة، ومنها لجنة اللغة التي تأسست سنة 1890م من أدبا ولغويين على رأسهم إليعيزر بن يهودا، وعملت على استحداث ألفاظ للعلوم والتكنولوجيا ونشر اللغة السليمة كتابة ونطقاً، وانتهت مهامها سنة 1953م بإنشاء المجمع اللغوي العبري.

ومها جمعية "حوففي سفات عيبر" (محبي اللغة العبرية" التي أنشئت في روسيا وانبثقت عنها جمعية "تربوت = ثقافة" سنة 1917م.

وكان للصحف التي صدرت بالعبرية أثر كبير في إحياء هذه اللغة، واكتساب الثقافة اليهودية في الشتات، مثل صحيفة "هشامر = الفجر" و "همغيد = الراوي" و "هكرمل = الكرمل"، و"هتسفيرا = الصفير " و "قول همفسير = النداء المبشر"([[13]](#footnote-13)).

**قيام الدولة والعبرنة:**

على الرغم من أن اللغة العربية بقيت لغة رسمية بعد قيام كيان الدولة العبرية في فلسطين استناداً إلى القانون الذي كان سارياً أيام الانتداب البريطاني سنة 1922؛ إلا أن قيام الدولة كان منعطفاً خطيراً على خارطة المشهد اللغوي، أدى إلى سيادة العبرية وتعزيز مكانتها، وإعلاء شأنها، وفرض هيمنتها من جهة، وإلى تجاهل العربية وتهميشها وتضييق الخناق عليها وتفريغ مكانتها الرسمية في شتى المجالات، فمنذ قيام الدولة وإلى يومنا هذا، ما تزال الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة تهاجم مرسومية اللغة العربية، وتسعى جاهدة إلى إصدار قانون في الكنيست الإسرائيلية يلغي مشروعيتها([[14]](#footnote-14)) تنفيذاً لعقيدتهم بأن إٍسرائيل دولة يهودية عرقية.

وقد اعتبر اليهود، نتيجة للصراع العربي الإسرائيلي العربية لغة الأعداء، وهي لغة الأقلية العربية التي يجب محاربتها، لأنها تشكل تهديداً للدولة وهويتها القومية([[15]](#footnote-15))، باعتبار هذه الأقلية جزءاً لا يتجزأ من العالم العربي الذي ترتبط به عاطفياً وفكرياً.

أرسى صناع القرار منذ نشوء الدولة دعائم اللغة العبرية، وفرضوا سيادتها في الحياة اليومية، فاتبعوا وعلى رأسهم دافيد بن غوريون – سياسة "بوتقة الصهر"، التي هدفت إلى توحيد الأمة اليهودية على مختلف انتماءاتها العرقية، وتحويل اليهود إلى إسرائيلين، وجعلوا قضية تعليمها مهمة مقدسة، وغاية عليا، واعتبروها الرمز الرئيس، والناقل الأهم لهويتهم القومية الجديدة، فاتخذوا إجراءات سريعة لاستيعاب موجات المهاجرين الجدد باتباع سياسة "أحادية اللغة" إذ مارسوا الضغط عليهم للتخلي عن لغاتهم الأم الأصلية، واعتبروا المحافظة على هذه اللغات القديمة مقاومة للهوية القومية الجديدة وكرهاً لها([[16]](#footnote-16)).

وشارك في تحقيق هذه المهمة – إضافة إلى المؤسسات التعليمية الرسمية – المتطوعون في المعاهد اللغوية التي أقيمت خصيصاً لذلك في الخيام والمساكن الثابتة والمؤقتة، كما أنشأ الجيش في ثكناته العسكرية مدارس لهؤلاء المهاجرين، وصدرت الصحف بالعبرية المبسطة، وبثت دار الإذاعة برامج خاصة لهم بلغة سهلة.

تجاوزت اللغة العبرية بعد إنشاء الدولة مرحلة الإحياء والبعث، وكتبت لها السيادة المطلقة من خلال سياسة "أحادية اللغة" بعد أن خاضت صراعين أحدهما داخلي بغلبتها على لغات المهاجرين وإحلالها محلها، وكذلك تحديثها وتجاوزها لغة التوراة القديمة، وثانيهما خارجي، بتفوقها على الإنجليزية والعربية وديناميكيتها واستيعابها الطرق القديمة والحديثة في تطور اللغة.

كان من نتيجة هذا الوعي القومي باللغة العبرية أن انتصرت هذه اللغة في حربها مع اللغات الأخرى، واقتضى الأمر بعد ذلك توظيفها في التأكيد على يهودية الدولة، وبناء الشخصية الإسرائيلية بالتهويد والأسرلة، لدرجة أن البروفيسور زوهر شبيط عضو مجلس بلدية مدينة تل أبيب ترى في تسمية المحلات التجارية بأسماء انجليزية وليست عربية "شهادة سيئة لثقافة لا تحترم نفسها وتفقد هيبتها ... توحي بأن اللغة الرسمية الأولى في إسرائيل ليست عبرية"([[17]](#footnote-17)).

**تهويد الأماكن:**

شكل تهويد فلسطين جوهر مشروع الحركة الصهيونية، وظل كذلك بعد تأسيس الدولة، وزاد الاهتمام به بعد أن تحقيق آمالهم وتطبيق أحلامهم، من خلال الهجرة وإنشاء المستوطنات قبل الدولة، وإقامة الدولة وتوحيد عاصمتهم فيما بعد.

ولقد برع اليهود في نحت النموذج الايديولوجي في التهويد، والإصرار على تحويل البلاد إلى وطن يهودي الهوية والمكونات من خلال ترجمة المكان وصبغه بالصبغة اليهودية، حتى غدا لعنة تاريخية تطارد الفلسطينيين إلى يومنا هذا، وصار الولع به "هواية شعبية" أو "رياضة قومية" كما صار الإيمان بالتاريخ عند الشباب الإسرائيلي بديلاً عن الدين، وغدا الشغف الإسرائيلي بعلم الآثار لا مثيل له في العالم الغربي([[18]](#footnote-18)).

شكلت الرموز والأساطير والصور الدينية جوهر هذا التهويد وأعطت مضموناً قومياً، فعلم هذا الكيان أبيض وأزرق بلون الطاليت (شال الصلاة اليهودي) تتوسطه نجمة داود، ونشيدهم يتحدث عن عودة اليهودي إلى وطنه، واسم الدولة واسم الأرض تسميات دينية، وبرلمانهم يسمى الكنيست ليذكر بالمعبد اليهودي "بيت هكنبست"، كما غيرت أسماء المدن والقرى والموانئ وسميت بأسمائها العبرية القديمة ذات الرنين الديني والبريق الصوتي، لتصبح إسرائيل شيئاً أشبه بالمتحف"([[19]](#footnote-19)).

وصل هذا التهويد المحموم إلى درجة أنهم انتحلوا اسماً قديماً للحيز الفلسطيني، فاختاروا "إسرائيل" اسماً لدولتهم بدلاً من "دولة اليهود" خيار هيرتزل، لما فيه من دلالات عنصرية دينية، ولتجاوز حدود مملكة يهودا القديمة التي قد تكون قيداً تاريخياً أمام مطامعهم التوسعية. والصهيونية كما يقول أحمد سوسه: أو مشتقة من لفظة صهيون، وهي رابية في أورشليم كان قد أقام عليها اليبوسيون أبناء عمومة الكنعانيين العرب حصناً قبل ظهور بني إسرائيل (قوم موسى) بحوالي ألفي عام، ولذا تكون لفظة "صهيونية" كنعانية (عربية) وليست عبرية (يهودية) شأتها في هذا شأن أسماء مدن وقرى فلسطين القديمة التي كانت ولا تزال تحمل أسماءها الكنعانية الأصلية حتى يومنا هذا"([[20]](#footnote-20)).

لقد أدرك اليهود أهمية التهويد وارتباطه بهوية دولتهم، وطبيعة كيانهم، فسعوا إلى تطبيقه بعد تأسيس الدولة مباشرة، فدعا دافيد بن غوريون / أول رئيس حكومة إسرائيلية، إلى ضرورة بلورة طابع عبري وأسلوب عبري لم يكونا قائمين في السابق، ولم يكن بالإمكان إقامتهما في المنفى"([[21]](#footnote-21)).

ولم يكن هذا التهويد الذي مارسه ويمارسه الكيان الجديد أمراً عارضاً، وفعلاً عشوائياً تلقائياً، وإنما كان مبرمجاً، مخططاً له، بطريقة لم يشهد لها التاريخ مثيلاً كمّاً ونوعاً، فشمل جميع زوايا المجتمع الفلسطيني، في البيت والمدرسة والشارع، وأماكن العمل، ولم يسلم منه كما يقول الباحث اللغوي الفلسطيني محمد أمارة "سوى المنابر والمقابر"([[22]](#footnote-22)).

ارتكزت أيديولوجية الحركة الصهيونية على سياسة "الخواء السكاني" فلجأت إلى الطرد والإحلال والتهجير القسري الجماعي، وحينما لم يتحقق لها ذلك ببقاء كثير من الفلسطينيين في أرضهم، تعاملت مع منْ تبقّى منهم وفق مبدأ إنْ لم يكن بالإمكان طردهم الآن، فعلى الأقل إبعاد أسماء أماكنهم عن ذاكرتهم بالعبرنة والتهويد، إذ الاسم العبري "يخدم الصالح العام الإسرائيلي لأن الأجيال الشابة العربية التي لم تشهد النكبة، ولم تقرأ عنها، وهي تتقبل الاسم بداية كأمر مسلم به، ومن ثم تذوّت في أعماقها بأن المكان أو الحيّز ملك اليهودي ولا يحق للفلسطيني المطالبة بإرجاعه"([[23]](#footnote-23)). ووفق هذه الرؤية تم غبرنة أسماء المدن والقرى والخرب والمواقع والمواضع الأثرية، والشوارع والساحات، والأودية والبقاع وغيرها.

ولتحقيق هذه الأهداف عملت الحكومات الإسرائيلية المتعاقبة على ما يلي:

1. تشكيل لجنة منذ قيام الكيان ولا تزال إلى يومنا هذا، أطلق عليها "لجنة المسميات الحكومية" مكونة من متخصصين في الدين والتراث والجغرافيا والتاريخ، ومسؤولين رسميين في التخطيط والتنظيم، ومهتمين بالشؤون العربية، تُعنى بدراسة أسماء الأماكن والمواقع ووضع بدائل عبرية لأسمائها العربية، تستقي توجهاتها من الأهداف العليا للدولة، وتسخّرها في مجالات الثقافة والسياسة والدين والاجتماع، واستطاعت هذه اللجنة حتى عام 2005 أي بعد مرور أكثر من خمسة وسبعين عاماً "إقرار حوالي سبعة آلاف اسم عبري جديد، وأكثر من خمسة آلاف اسم للمواقع الجغرافية، وأكثر من ألف اسم للمستوطنات الجديدة، وبضع مئات من الأسماء للمواقع الأثرية"([[24]](#footnote-24)).
2. تقرير هذه الأسماء في الكتب والمقررات الدراسية في مختلف المراحل، وإجبار المعلمين والطلبة يهوداً وعرباً على استخدامها والتعامل معها، لانتزاع الماضي العربي من الأذهان وإحلال العهد اليهودي مكانه دون اعتبار للمكان وهويته العربية.
3. تعميم كل ما تم عبرنته على وسائل الإعلام والدعاية الصهيونية المقروءة والمرئية والمسموعة لترسيخه في أذهان الناس وتعويدهم عليه.
4. أولت هذه الحكومات اهتماماً كبيراً بالتسميات، واعتبرتها "مهمة قومية" لا فرق فيها بين أسماء المعالم وأسماء الأشخاص، واشترطت في بعض الحالات تغيير الاسم للترقية في العمل أو الخدمة في الجيش"([[25]](#footnote-25)).
5. أصدرت خارطة كلية للبلاد معدّلة عن خارطة حكومة الانتداب البريطاني لسنة 1944، شملت جميع المناطق من أقصى الشمال إلى أقصى الجنوب، وحملت الأسماء العبرية للأماكن الفلسطينية([[26]](#footnote-26))، وفي عام 1996 أصدرت أطلساً للطرق في كراس من مائة صفحة متضمناً الأسماء العبرية للأماكن الفلسطينية.
6. تقدمت إلى "المؤتمر الدولي لتوحيد المصطلحات الجغرافية، المنعقد في جنيف سنة 1967، بمذكرة لإحلال أسماء عبرية محل الأسماء العربية الأصلية للمواقع العربية في فلسطين، وتعاونت مع الهيئات الدولية ودور نشر الأطالس والكتب الجغرافية الدولية لتكريس هذا الإحلال([[27]](#footnote-27)) .

**طرق العبرنة وأنماطها:**

يشكل الصراع على أسماء الأماكن والمواقع أحد أهم ألوان الصراع بين العرب واليهود في فلسطين، ذلك أن التسمية ليست لعبة حروف وكلمات، وإنما هي نتاج لغة شعب ذي تراث وثقافة وحضور، وهي بناء حضارة، ومخزون تراثي ثقافي يصل الإنسان بزمانه ومكانه.

ولأن الأسماء برموزها ودلالاتها التي تعبت الأجيال في طبعها في الذاكرة الجمعية هي العيون التي بها ترى، وهي الهوية التي بها تعرف، لذا تغدو العبرنة ليست مجرد تغيير أسماء، وإنما جريمة تاريخية واعتداء على الثقافة والإرث.

ونظراً لهذه الأهمية حرصت لجنة التسميات الإسرائيلية على توفير كل سبل الإقناع للأسماء الجديدة محلياً ودولياً، فراعت فيها الاعتبارات التاريخية المزعومة، والأساطير المتخيلة، والقراءة المختلفة أو المحرفة للتنقيبات والمكتشفات الأركولوجية، لطمس كل ما هو عربي شكلاً ومضموناً.

لذا تنوعت طرق التسمية، وتعددت مساراتها وأنماطها، واتسعت مشاربها، وانضوى تحت لواء كل منها مئات بل آلاف الاسماء المزعومة، ومن أهم هذه الطرق:

**1. أسماء دينية تاريخية:**

وهي أهم الأسماء وأكثرها وأشدها تأثيراً لبعدها الديني، وارتباطها بكتبهم المقدسة مثل التوراة والمشناة والتلمود، إذ سمّوا المناطق الإدارية والجغرافية للدولة كما وردت في العهد القديم وتقسيمها بين أسباط إسرائيل في سفر يشوع([[28]](#footnote-28))، من خلال مطابقة جبرية مصطنعة لم يثبت علم الآثار إلى يومنا هذا صحتها، فأطلقوا على منطقة حيفا وعكا اسم (أشير)، وعلى الجليل الشرقي (نفتالي)، والناصرة (زبلون)، وطبرية وبيسان (بساكر)، وجنين ونابلس وطولكرم (منسي)، ورام الله (أفرايم)، والقدس (بنيامين)، ويافا واللد والرملة (دان)، والخليل (يهودا)، والنقب الشمالي (شمعون).

وجدير بالذكر أن معظم هذه الأسماء التي تدعي المصادر اليهودية عبريتها هي أسماء كنعانية سطوا عليها مثلما سطوا على معظم التراث الكنعاني القديم، ومن أمثلتها: بيت إبل/بتين، وحبرون/الخليل، وأورشليم/القدس، وشكيم/نابلس، وعكو/عكا، ويافو/يافا، نتسيرت/الناصرة وغيرها.

وقد تكون هذه الأسماء لشخصيات تاريخية ورد ذكرها في العهدين البيزنطي والروماني، فأطلقت على بعض الأماكن الفلسطينية تخليداً لذكراهم، مثل جبل الشيخ مرزوق جنوب غرب القدس الذي سموه (هارغيورا) باسم شمعون بارغيوراً أحد قادة التمرد اليهودي ضد الرومان، وأطلقوا على جبل العريمة اسم (هار هكنائيم) تخليداً لذكرى المتعصبين اليهود الذين تمردوا على الرومان وتحصنوا في قلعة متسادا = مسّادة([[29]](#footnote-29)).

**2. أسماء الرموز والقادة والمتميزين:**

حيث أطلقوا أسماء الشخصيات التي كان لها دور في تاريخهم الحديث تخليداً لذكراهم، واعترافاً بدورهم وحفظاً لمكانتهم، مثل القادة العسكريين والسياسيين والدينيين والأدباء والمحاربين، فسمّوا جبل حيدر في الرامة بالجليل باسم (هار هآري) رئيس حاخامات الكابالاه في صفد، وسمّوا عقبة أبو مدين قرب حائط المبكي في القدس الشريف باسم الشاعر يهودا هليفي، وأطلقوا على جبل شرفة غرب القدس اسم (هارهيرتسل) حين نقلوا إليه عظام مؤسس الصهيونية عام 1949م، وسموا عين عبدة في منطقة الحولة باسم طبيب صهيوني من المهاجرين الأوائل، وأطلقوا على عين البيضا في الجليل الغربي (عين كوفشيم) تخليداً لذكرى الصهاينة الذين احتلوا قرية حانوتا العربية، وهجّروا سكانها العرب أيام الانتداب البريطاني([[30]](#footnote-30)).

**3. أسماء محّرفة عن العربية:**

في دراسة نشرها عبد الرحمن مرعي حول عبرنة أسماء البلدات الفلسطينية، ذكر أن الأسماء المستعارة من الجذور العربية كثيرة جداً، وأن لجنة الأسماء اتبعت ثلاث عشرة طريقة في صياغة هذه الأسماء المستعارة([[31]](#footnote-31))، فهم يحرّفون الاسم العربي ليلائم اسماً عبرياً أو صرفه عن جهته([[32]](#footnote-32))، وتراوح التحريف بين استبدال حرف بآخر، سواء أكان نظيراً له أم لم يكن، مثل (بروخين) مستوطنة قرب قرية بروقين في منطقة سلفيت وأسدود = أسدود، وعبلين = إبلين، وغيرها.

وربما يكون التحريف في أكثر من حرف واحد مع الإضافة أو الحذف، مثل (عيناف) اسم مستوطنة قرب عنبتا بشمال الضفة الغربية، وبيت عنان = البعنة، وأشكلون = عسقلان ...الخ، ويلاحظ أن كثيراً من أسماء الشوارع ومفارق الطرق والمستوطنات والمواقع المجاورة للقرى العربية هي من هذا النوع.

**4. أسماء مترجمة إلى العبرية:**

حيث يحافظون على الاسم العربي، ولكنهم يترجمون معناه إلى العبرية ترجمة حرفية، ومن هذا القبيل ترجمة باب الواد وهي منطقة غرب القدس إلى (شاعر ها جاي)، حيث شاعر تعني بوابة وها بمعنى أل، وجاي، بمعنى واحد، وكذلك جبل الزيتون في القدس إلى (هار هزيتييم) إذ (هار) بمعنى جبل، وها تعني أل، و(زيتيم) بمعنى زبتون، وأحياناً يطلقون الترجمة العبرية بلفظها العبري مع تحريف بسيط يتفق مع حروف العبرية مثل: جبل جراده – هار جوفاي، وعين غزال – عين إيالاه، وتل رحيب – هار راحيف (واسع)، وغيرها.

ويدخل في هذا الباب التسمية حسب طبيعة المكان، وبما يشتهر به، مثل: عين أم عامر = عين أجمون على اسم نبات موجود في هذه المنطقة، وجبل راس الرب = هار أوراه، على اسم نبات الجرجير المنتشر في المنطقة.

**مواجهة العبرنة:**

لعل ما سبق يظهر حجم الطمس والمحو والتغييب للأماكن الفلسطينية الثابتة في الذاكرة، مما يستدعي حشد كل الطاقات الفردية والجماعية، الفلسطينية والعربية لمواجهة هذا الاعتداء الصارخ على الشخصية الفلسطينية وهويتها العربية. فالحفاظ على أسماء هذه الأماكن حفظ لمقومات الوطن الفلسطيني، وموروثه الوطني الذي لم يتكوّن لولا صلة الإنسان الوثيقة به، وعلاقته الحميمة معه، ومحافظته على وظائف المكان النفسية والعاطفية والمعرفية التي يحاول الاحتلال طمسها وقطع صلة الإنسان الفلسطيني بها، ليبعث من هذا المكان وظائف جديدة تحاول خدمة أغراضه وأهدافه.

ونحن اليوم – في ظل استمرار العبرنة واستعارها – مدعوون أكثر من أي وقت مضى إلى حماية هذه الأسماء، وبعثها من جديد بإعادة الاعتبار لها، واتخاذ الخطوات السريعة والجريئة المقاومة لكل ما قام به المحتل من إحلال.

ولقد انتبه أهلنا في القسم المحتل من فلسطين عام 1948 – وهم الذين يعيشون مواجهة يومية – إلى خطورة عبرنة هذه الأماكن، واعتبروا الحفاظ على عروبتها من أهم القضايا الوطنية التي يخوضون صراعاً مستمراً مع العدو من أجلها.

ولعل ما صنعوه وما يصنعونه في خضم مواجهتهم، يعد نواة لما يجب عمله على الصعيدين الوطني الفلسطيني، والقومي العربي، ومما يمكن رصده ما يلي:

1. جهود المؤرخين والجغرافيين في الداخل الفلسطيني أمثال المؤرخ محمود يزيك، والجغرافي شكري عراف، ويعدّ كتاب الأخير الموسوم بـ "المواقع الفلسطينية بين عهدين – خربطتين"([[33]](#footnote-33)). من أفضل الكتب التي كتبت عينياً وإحصائياً عن تهويد الأماكن في فلسطين، حيث أحصى المؤلف ألفين وسبعمائة وثمانين (2780) موقعاً ثم تغيير أسمائها، منها ثلاثمائة وأربعون (340) قرية ومدينة، وألف (1000) خربة، وثلاثمائة وثمانون (380) عين ماء، وخمسمائة وستون (560) وادياً ونهراً، وأربع عشرة (14) بركة وبحيرة، وخمسون (50) مغارة، وثمان وعشرون قلعة، ومائة وثمانون جبلاً، ومائتان وعشرة تلة.
2. اهتمام الأدباء والكتاب بأسماء هذه الأماكن في أشعارهم ورواياتهم وكتاباتهم لترسيخها وديمومتها في أذهان الأجيال القادمة، وخير شاهد على ذلك أشعار محمود درويش وسميح القاسم وراشد حسين وغيرهم، ولقد أشار الروائي إميل حبيبي صراحة إلى تهويد هذه الأماكن في رواية المتشائل بقوله: "فساحة الحناطير في حيفا يصبح اسمها ساحة باريس، ومرج ابن عامر يصبح اسمه (سهل يزراعيل)، بينما تحمل عين جالوت اسماً مستمداً من التوراة (عين حارود)، ومن سخريات المتشائل أنه نتيجة لجهله بالعبرية حسب أن اسم مدينة حيفا الحبيبة قد تغير ليصبح مدينة إسرائيل"([[34]](#footnote-34)). وسمّى سلمان ناطور كتابه المشهور بـ "الذاكرة"([[35]](#footnote-35)) الذي ترجم إلى العبرية ولغات عالمية عدة.
3. وعي رؤساء وأعضاء المجالس البلدية العربية بآثار التهويد من خلال تعاونهم مع المؤسسات والمنظمات والحركات الوطنية في الرد على الدولة العبرية في إحياء ذكرى الاستقلال وقيام الدولة، بإحياء ذكرى النكبة التي حلت بالشعب الفلسطيني في البلدات والقرى التي دمروها وهوّدوها، ومن خلال التصدي لسياسة العبرنة والمطالبة بالحفاظ على الأسماء العربية، ففي بلدية حيفا قدم الأعضاء العرب طلبات إلى لجنة التسميات بتسمية شوارع بأسماء أعلام عرب مثل إميل توما وحنا نقارة، وكميل شحادة، وعصام العباسي، وقد تحققت طلباتهم من خلال إصرارهم، وفي عكا تصدى العضو العربي في المجلس البلدي إلى اللافتات التي سميت عكا بـ "أكّو" بأن أرسل إلى رئيس بلديتها رسالة شديدة اللهجة قال فيها: "إن كتابة كلمة "أكو" بالعربية ليست صدفة، وإنما تأتي ضمن المساعي والمحاولات لمحو المعالم العربية في المدينة أو تشويهها .... و إني أطالب بإصلاح هذه اللافتة حالاً وخلال أسبوع، وإلا فإنني سأقوم بإصلاحها بالطرق المناسبة([[36]](#footnote-36)).

أما سكان الحي القديم بمدينة الرملة الذين طلبوا استبدال أسماء الشوارع اليهودية بأسماء عربية تنتمي إلى تراثهم فكان ردّ رئيس البلدية عليهم بقوله: "أنا لن أغيّر شيئاً من أجل محمد أو جمال([[37]](#footnote-37))، فليغيروا إلههم ... وليذهبوا إلى الجحيم"([[38]](#footnote-38)).

1. نشاط المؤسسات التعليمية والثقافية العربية مثل مجمع اللغة العربية في الناصرة، ومجمع القاسمي للغة العربية في باقة الغربية، ومؤسسة محمود درويش في كفر ياسيف، ومؤسسة الأفق الثقافية ومسرح الميدان في حيفا وغيرها.

هذه مساهمات مهمة، لكنها لا تستطيع مواجهة الخطاب التهويدي الصهيوني الواسع النطاق، وعلى الفلسطينيين والعرب جميعاً أن يكونوا بحجم التحديات، ومما يمكن فعله، إعادة إنتاج خارطة المواقع الفلسطينية قبل عام 1948، وإصدار معجم تاريخي جغرافي لهذه الأماكن، وكشف أصول هذه المواقع الكنعانية للرد على الرواية الصهيونية، ونشر الكتب والمؤلفات والأطالس والخرائط التي تهتم بهذه الأماكن وتوزيعها على وسائل الإعلام لاستخدامها.

**المصـــــادر والمراجـــــع**

* إدريس، سهام: تهميش العربية في إسرائيل، لافتات المرور نموذجاً، عود الند، المجلة الثقافية الشهرية، ص45.
* أمارة، محمد: اللغة والهوة في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2002م.
* أمارة، محمد، ومرعي، عبد الرحمن: سياسة التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل، دار الهدى، كفر قرع، ط1، 2004م.
* جبر، يحيى: الأعلام الجغرافية الفلسطينية بين الطمس والتهويد، الموسوعة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ency.najah.edu
* جبر، يحيى، وعبير عيسى: بين العربية والعبرية، وقائع مؤتمر الواقع اللغوي في فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2006م.
* حبيبي، إميل: المتشائل. دار ابن خلدون. طمرة، فلسطين، ط2، 1974م,
* رزوق، أسعد: إسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط2، 1973م.
* سوسة، أحمد: مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، 1981م.
* سيغف، توسم: الإسرائيليون الأوائل، ترجمة خالد عايد وآخرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت / نيقوسيا، 1993م.
* الشامي، رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة العدد 20، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986.
* عبد الكريم، إبراهيم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية، منشورات، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، 2001م.
* عراف، شكري: المواقع الفلسطينية بين عهدين – خريطتين، دار الشفق، كفر قرع، فلسطين، 1992م.
* المرش، محمود وادي: بريطانيا: صندوق الاستكشافات الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 9، أيار، 1972م.
* مرعي، عبد الرحمن: أحياء العبرية ودوره في بلورة الكيان اليهودي الحديث، ضمن كتاب اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير محمد أمارة، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، ط1، 2002م.
* مرعي، عبد الرحمن، عبرنة أسماء البلدات والمواقع الفلسطينية، انعكاس وامتداد للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، جمعية ابن خلدون، طمرة، فلسطين، 2006م.
* مرعي، عبد الرحمن، العربية والعبرية في الماضي والحاضر، دراسة في تطور اللغتين والتفاعل بينهما، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، ط1، 2010م.
* مزعل، غانم: تأثير اللغة العربية على اللغة العبرية، مجلة أبحاث النجاح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، العدد الأول، 1983م.
* المسيري، عبد الوهاب: الأيديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 60، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1978.
* ناطور، سلمان: ذاكرة، مركز بديل لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، 2007م.
* واتيلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة، إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 249، الكويت، 1999م.

1. () مزعل، غانم: تأثير اللغة العربية على اللغة العبرية، مجلة أبحاث النجاح، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، العدد الأول، 1983، ص104. [↑](#footnote-ref-1)
2. () جبر، يحيى، وعبير محمد: بين العربية مع العبرية، وقائع مؤتمر الواقع اللغوي في فلسطين، جامعة النجاح الوطنية، نابلس، 2006، ص43. [↑](#footnote-ref-2)
3. () أمارة، محمد، ومرعي، عبد الرحمن: سياسة التربية اللغوية تجاه المواطنين العرب في إسرائيل، دار الهدى، كفر قرع، ط1، 2004، ص45. [↑](#footnote-ref-3)
4. () مرعي، عبد الرحمن: إحياء العبرية ودوره في بلورة الكيان اليهودي الحديث، ضمن كتاب "اللغة والهوية في إسرائيل، تحرير محمد أمارة، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية (مدار) رام الله، ط1، 2002، ص56. [↑](#footnote-ref-4)
5. () خيّب المسح الآثاري الشامل الذي أجراه علماء إسرائيليون منصفون في سبعينات وثمانينات القرن الماضي، آمال أصحاب الدراسات التوراتية، فدعا إسرائيل فنكلشتاين إلى تحرير علم الآثار من سطوة النص التوراتي الذي تحكم بماضي البحث في أصول إسرائيل لأنه يحمل طابعاً لاهوتياً منحازاً، انظر: وايتلام، كيث: اختلاق إسرائيل القديمة إسكات التاريخ الفلسطيني، ترجمة سحر الهندي، سلسلة عالم المعرفة، العدد 249، الكويت 1999، ص92. [↑](#footnote-ref-5)
6. () مرزوق، أسعد: إسرائيل الكبرى، دراسة في الفكر التوسعي الصهيوني، مركز الأبحاث: منظمة التحرير الفلسطينية، بيروت، ط2، 1973، ص42. [↑](#footnote-ref-6)
7. () المرش، محمود وادي: بريطانيا: صندوق الاستكشافات الفلسطينية، مجلة شؤون فلسطينية، العدد 9، أيار، 1972، ص202. [↑](#footnote-ref-7)
8. () عبد الكريم، إبراهيم: تهويد الأرض وأسماء المعالم الفلسطينية، منشورات اتحاد الكتاب العربي، دمشق، 2001، ص68. [↑](#footnote-ref-8)
9. () مرعي، عبد الرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر، دراسة مقارنة في تطور اللغتين والتفاعل بينهما، مجمع القاسمي للغة العربية، باقة الغربية، ط1، 2010، ص97. [↑](#footnote-ref-9)
10. () المرجع السابق، ص171 + 172. [↑](#footnote-ref-10)
11. () انظر: المرجع السابق، ص96، 172، واللغة والهوية في إسرائيل، ص48. [↑](#footnote-ref-11)
12. () المرجع السابق، ص92-93. [↑](#footnote-ref-12)
13. () أمارة، محمد: اللغة والهوية في إسرائيل، المركز الفلسطيني للدراسات الإسرائيلية، رام الله، 2002م، ص45. [↑](#footnote-ref-13)
14. () انظر: مرعي، عبد الرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر ص180-188. [↑](#footnote-ref-14)
15. () إدريس، سهام: تهميش العربية في إسرائيل، لافتات المرور نموذجاً، عود الند، المجلة الثقافية الشهرية، ص45. [↑](#footnote-ref-15)
16. () أنظر: مرعي، عبد الرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر، ص173، وأمارة، محمد: اللغة والهوية في إسرائيل، ص53. [↑](#footnote-ref-16)
17. () المرجع السابق، ص137. [↑](#footnote-ref-17)
18. () الشامي: رشاد عبد الله: الشخصية اليهودية الإسرائيلية والروح العدوانية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 20، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، 1986، ص126. [↑](#footnote-ref-18)
19. () المسيري، عبد الوهاب: الأيديولوجية الصهيونية، سلسلة عالم المعرفة، العدد 60، المجلس الوطني للثقافة والفنون والأداب، الكويت ص150-1978م. [↑](#footnote-ref-19)
20. () سوسه، أحمد: مفصل العرب واليهود في التاريخ، منشورات وزارة الثقافة، بغداد، 1981م، ص561. [↑](#footnote-ref-20)
21. () سيغف، توسم: الإسرائيليون الأوائل، ترجمة خالد عايد وآخرين، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت / نيقوسيا، 1993، ص266-306. [↑](#footnote-ref-21)
22. () في مقابلة أجراها معه سليمان أبو ارشيد ونشرت على موقع "بكرا" bokra الالكتروني بتاريخ 18/1/2011. [↑](#footnote-ref-22)
23. () مرعى، عبد الرحمن، العربية والعبرية في الماضي والحاضر، ص190. [↑](#footnote-ref-23)
24. () المرجع السابق، ص192. [↑](#footnote-ref-24)
25. () سيغف، توسم: الاسرائيليون الأوائل، ص307. [↑](#footnote-ref-25)
26. () عبد الكريم، إبراهيم، تهويد الأرض وأسماء الأماكن الفلسطينية، ص74. [↑](#footnote-ref-26)
27. () المرجع السابق، ص74. [↑](#footnote-ref-27)
28. () الاصحاح 19. [↑](#footnote-ref-28)
29. () عبد الكريم، إبراهيم: تهويد الأرض وأسماء المعاجم الفلسطينية، ص79. [↑](#footnote-ref-29)
30. () المرجع السابق، ص79-ص80. [↑](#footnote-ref-30)
31. () عبرنة أسماء البلدات والموقع الفلسطينية – انعكاس وامتداد للصراع الإسرائيلي الفلسطيني، جمعية ابن خلدون، طمرة، فلسطين 2006. [↑](#footnote-ref-31)
32. () جبر، يحيى: الأعلام الجغرافية الفلسطينية بين الطمس والتهويد، الموسوعة الفلسطينية، جامعة النجاح الوطنية، ency.najah.edu. [↑](#footnote-ref-32)
33. () صدر عن دار الشفق في كفر قرع، فلسطين، 1992. [↑](#footnote-ref-33)
34. () حبيبي، إميل: المتشائل، دار ابن خلدون، طمرة، ط2، 1974، ص49. [↑](#footnote-ref-34)
35. () ناطور، سلمان: ذاكرة، مركز بديل لمصادر حقوق المواطنة واللاجئين، بيت لحم، 2007. [↑](#footnote-ref-35)
36. () مرعي، عبد الرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر ص194+195. [↑](#footnote-ref-36)
37. () يقصد بمحمد الرسول الكريم (ص)، وبجمال الرئيس المصري الأسبق جمال عبد الناصر. [↑](#footnote-ref-37)
38. () مرعي، عبد الرحمن: العربية والعبرية في الماضي والحاضر ص193. [↑](#footnote-ref-38)